له الا الارتباط بالدم . لقد شارك الفنانون الطليعيون العرب جميعا في اغناء المعركة الفلسطينية بأعمالهم الفنية ، كما استشهد مناضلون عرب على أرض فلسطين ، ان شمولية القضية الفلسطينية سياسيا وانسانيا تجعلها غير قابلة لان تحدد فقط بحدود فلسطين ومن هو فلسطيني المولد فقط ، بل تأخذ طريقها الى دم كل تقدمي ، اذ انهما قضية الحرية الانسانية عامة ، ففي الزمن الذي تصير فيه قضية الثورة قضية عالمية ، وفي الزمن الذي صار فيه الفن أيضا حركة ذات صبغة وسمات عالمية ، نرفض العودة الى تكريس مفاهيم ضيقة ومحدودة .

ان زمن المقاومة الفلسطينية الذي هو زمن ابداعي ، زمن الحلم والفعل ، ساهم في خلق علاقات جديدة بين الفن العربي والحياة ، أخذت هذه العلاقات أبعادها ضمن العمل الفني ذاته في شكله ومضمونه وفي وظيفته أيضا ، فبعد حزيران ٦٧ وبتصاعد المقاومة الفلسطينية ومدها الشعبي على الارض العربية حدث التقاء فعال بين الفنان والمجتمع ، وخرج الفنانون من دفاترهم ولوحاتهم ومراسمهم للمشاركة في صنع التاريخ ، يقول كمال بلاطة(٢) « بأن الفن الذي انتجه الفلسطينيون بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بنوع خاص هو خطوة أولى نحو اتحاد الفرد بالكل » . ان مثل هذا الاتحاد لم يقتصر على الفنان الفلسطيني بل شمل طليعة الفنانين العرب ، فكان « شهادة الاطفال في زمن الحرب » تعبيرا عن هذه الروح الثورية الجديدة في البحث عن الالتحام ، وتفجير القاعدة الشعبية نحو المشاركة الابداعية ، كان نذير نبعة في ذلك الوقت يرسم لمجلة الثورة في دمشق ويزين كتبا لشعراء المقاومة في الارض المحتلة ، وعبد القادر أرناؤوط يبدع ملصقات ضدالصهيونية بلغة بلاستيكية هندسية توحد بين الشعار النازي والنجمة السداسية ، وفي بغداد رسم ضياء العزاوي « شاهد من هذا العصر » عن يوميات مقاتل فلسطيني في عمان ـ ايلول ١٩٧٠ .

في امريكا كان كمال بلاطه من القدس القديمة يرسم بالحبر الملون أحلام فلسطين ، حصان جامح من ارابيسك عربي ، امرأة فلسطينية ترتدي أشعارا فلسطينية ، وكان فلاديمير تماري من يافا يبحث في بيروت عن حرف عربي جديد بسيط وعملي ، ثوري، سماه مؤخرا حرف القدس ، وعرض فنانون آخرون مجموعة لوحات عن الثورة والحب ، وفي بغداد أقيم معرض للملصقات في ساحة عامة ، واخذت الاعمال الفنية طريقها نحو الشارع عن طريق الملصقات والكتب والبطاقات ، وترك فنانون آخرون ريشهم والوانهم وحملوا البنادق .

« ان الانسان الذي يبحث عن وحدة الانا المحدودة بوجود جماعي عن طريق الفن » (٣) يعرف في مثل هذه الفترات الديناميكية اتصالا حيا وعموديا بالجماعة ، بحيث يصير هو والعالم نارا واحدة ، برقا واحدا ...

ان حاجتنا للفن ـ التعبير هي حاجتنا للقتال ، فقضية الثورة واحدة لا تتجزأ ، وان مدننا تحتاج الى اعمال فنية حاجتها الى الديناميت ، ان الفن هو أيضا نوع من العنف ، وهو أيضا طريق نحو التحرر .

---

(٢) كمال بلاطة ، نحو فن عربي ثوري ، مواقف عدد ٩ .
(٣) ارنست فيشر (ضرورة الفن)